الحوار الداخلي والمشاهد العاشورائية في ملحمة الإمام الحسين عليه السلام (دراسة تحليلية)

أ.م.د. زيد عبد الحسين يوسف

جامعة جابر بن حيان للعلوم الطبية/ كلية الطب/ النجف الاشرف

Zai.iq83@gmail.com

الحوار الداخلي والمشاهد العاشورائية
في ملحمة الإمام الحسين عليه السلام (دراسة تحليلية)

أ.م.د. زيد عبد الحسين يوسف

جامعة جابر بن حيان للعلوم الطبية/ كلية الطب/ النجف الاشرف

Zai.iq83@gmail.com

الملخص

اتسم أغلب الشعر العربي قديمه وحديثه بسمة الغنائية، فالشاعر يترجم من خلالها أحاسيسه ووجدانه، وما لاقاه في مسيرته الحياتية في تعبير فني أدبي يسكب كل ما تقدم فيه، ولكن هل بقي الشعر الحديث اسير غنائيته ام دخلته طرائق تعبيرية فنية من منافسه النثر؟ معتمدا على تقارب الأجناس الأدبية التي أضحت واحدة بعد هدم الفواصل بينهما.

والدراسة التي بين يدي القارئ طريقة عملية كاشفة عن تقارب تقنيات التعبير بين الجنسين الشعر والنثر، طبقها الباحث في (ملحمة الإمام الحسين عليه السلام) للشاعر جورج شكور التي وجد بين سطورها الأدبية وصورها الشعرية، وسائل تعبيرية نثرية تتطلب من الباحثين الوقوف عندها، لكي تُفهم القارئ العربي المديات الأدبية التي توصل لها الشاعر المعاصر، عندما وقف إزاء قضية كربلاء، ولاسيما عندما لم يبق اسيرا للحدث التاريخي، فضلا عن ذلك دمج الشاعر المدروس الحياة المعاصرة مع مشاهد كربلاء كعلاج لواقعه الحياتي، وذاته فهمناه من تأملاته في نصه الشعري، بطرائق سردية حوارية.

من هنا وجدنا الأفضل أن نختار ثيمة الحوار الداخلي، المعني بإظهار الخلجات النفسية والباطنية اثناء تعاملها مع الواقع والأحداث والشخصيات، ومقدار التأثر بها، البادي بطريقة لفظية، شعرية حوارية حركية، إذ لم يجد الباحث نفعا بالدراسات التصويرية أو البلاغية، التي توضح قدرات الشاعر اللغوية والبلاغية من الاستعمال، وإظهار قدرات اللغة وجمالياتها في المحكي والملفوظ.

الكلمات المفتاحية: المونولوج. جورج شكور. الإمام الحسين عليه السلام. الحوار الداخلي.

Internal Dialogue and Ashura Scenes in the Epic of Imam Hussein (Peace Be Upon Him) (An Analytical Study)

Assistant Professor Dr. Zaid Abdul Hussein Yousif

Jabir Ibn Hayyan University for Medical and Pharmaceutical Sciences
College of Medicine – Al-Najaf Al-Ashraf

Email: Zaid.iq83@gmail.com

Abstract

Most of the ancient and modern Arabic poetry is characterized by lyricism, where the poet expresses his feelings, emotions, and life experiences through artistic and literary expression. However, has modern poetry remained confined to its lyricism, or has it incorporated expressive and artistic methods from its prose counterpart? This is based on the convergence of literary genres, which have become unified after the removal of boundaries between them.

The study at hand reveals the convergence of expressive techniques between poetry and prose, applied by the researcher to the epic of Imam Hussein (peace be upon him) by the poet George Shukr. Among its literary lines and poetic images, the researcher found prose-like expressive means that require scholars to examine them. This helps the Arab reader understand the literary horizons achieved by the contemporary poet when he addressed the issue of Karbala. Notably, the poet did not remain confined to the historical event. Furthermore, the studied poet intertwined contemporary life with the scenes of Karbala as a remedy for his life's reality, and this was understood from his reflections in his poetic text through narrative and dialogical methods.

Therefore, we found it preferable to choose the theme of internal dialogue, which is concerned with revealing the psychological and inner sentiments during interaction with reality, events, and characters, and the extent of their influence. This is evident in a verbal, poetic, dialogical, and dynamic manner. The researcher did not find benefit in the pictorial or rhetorical studies that explain the poet's linguistic and rhetorical capabilities from usage, nor in highlighting the capabilities and beauties of the language in the spoken and uttered words.

Keywords: *Monologue*, *George Shukr*, *Imam Hussein (peace be upon him)*, *Internal Dialogue*

المقدمة

تتسم شخصية الشعر العربي بوصفها غنائية ولاسيما الشعر العربي القديم، ولا يخلو الشعر الحديث منها، فالشاعر يترجم من خلالها أحاسيسه ووجدانه، فيسكب ما لاقاه في مسيرته الحياتية في تعبير فني أدبي، ولكن هل بقي الشعر الحديث أسير الغنائية أم دخلته موجات متعددة من منافسه النثر؟ وما يحمله من طرائق تعبيرية لنقل الواقع الخارجي، وهل اعتمد الشعر الحديث على التقارب في الأجناس الأدبية التي أضحت واحدة بعد هدم الفواصل بينهما؟

من هنا ترسخت الفكرة بأن الشعر حمل صيغا تعبيرية لعلها جديدة عن جنسه، حتى أضحت مرآة عاكسه في إحدى مستوياته عن التوجهات الفكرية والثقافية والأيدلوجية للناطقين بالشعر، وكلما حاول الشاعر الإفلات منها بدهاء وذكاء، إلا أنَّ الرسائل المخفية التي يتصيدها المتلقي المتدبر والحكيم، كفيلة من إيضاح الكشوفات الشعرية.

وما أحسب أن الدراسة التي تناولها الباحث إلا عملية كاشفة عن تقارب تقنيات التعبير في الجنسين الشعر والنثر، مطبقا ذلك في ملحمة الإمام الحسين عليه السلام للشاعر جورج شكور التي قراءها المتلقي العربي في العصر الحديث، على أنها ملحمة من لدن شاعر مسيحي استعمل مجريات التاريخ، وأعاد نظمها بوزن وقافية مع بعض الصور الشعرية، ولعلَّ هذا الفهم وارد من القراءة الأولى لأغلب المطولات التاريخية التي حملت اسم الملحمة، إلا أنَّ الباحث فتَّش فيها، فوجد بين سطورها الأدبية وصورها الشعرية، وسائل تعبيرية نثرية تتطلب من الباحثين الوقوف عندها، لكي تُفهم القارئ العربي المديات الأدبية التي استعان بها الشاعر المعاصر عندما وقف إزاء قضية كربلاء، ولاسيما عندما لم يبق أسيرًا للحدث التاريخي، فضلا عن ذلك فقد دمج الشاعر المدروس الحياة المعاصرة مع مشاهد كربلاء كعلاج لواقعه الحياتي، وذاته فهمناه من تأملاته ومناجاته في نصه الشعري، بطرائق سردية حوارية.

ولما كانت رغبتنا في تعريف العالم بطريقة تفاعل أدباء الديانة المسيحية مع مصاب الإمام الحسين عليه السلام، بمعنى آخر كيف تعاملوا مع واقعة استشهاد الامام الحسين عليه السلام منذ بدء الأيام الأولى من عاشورائه إلى أربعينيته؟ فاخترنا شاعرًا مسيحيًا من أرض لبنان، ما أوجب علينا الدخول إلى ما ورائيات النص والخطاب، وعدم الإرتضاء بالوجهة الشعرية حسب، التي تسمح لنا بالغور في دفائن النفوس الدافعة للتكلم باتجاه معين وطريقة بعينها.

وغالبا يبدر التساؤل: هل استطاعت واقعة كربلاء أن تحفر في نفس الشاعر العربي المعاصر، وتغدو منزعا إلى حوار داخلي باطني نفسي؟ أم بقيت قضية تتسم بالتاريخانية في روايات التاريخ وأهله، من هنا وجد الباحث الحوار الداخلي ثيمة الدراسة، كونه المعني بإظهار الخلجات النفسية والباطنية أثناء تعاملها مع الواقع والأحداث والشخصيات، ومقدار التأثر بها، البادي بطريقة لفظية، شعرية حوارية حركية، إذ لم يجد نفعا بالدراسات التصويرية أو البلاغية، التي توضح قدرات الشاعر اللغوية والبلاغية من الاستعمال، وإظهار قدرات اللغة وجمالياتها، فضلا عن وجود دراسات لملحمة الإمام الحسين عليه السلام

لباحثين سبقونا أغنتنا عن دراستها بلاغيا ولغويا واسلوبيا، نحو دراسة أسلوبية منشورة في مجلة «مركز بابل للدراسات الإنسانية» للباحثين ياري سردار، علي أصغر أصـلاني، ودراسـة أخـرى بعنوان أفـق الحدث وتداخل السرد في قصيدة ملحمة الحسين للشاعر جورج شكور للدكتور عـواد كاظم الغزي، ومقالات في شبكة الأنترنيت التي عالجت موضوعات من الملحمة ليست قريبة من دراستنا، نحو ملاحـم جـورج شكـور فـي ضـوء طبيعة الشعـر الملحـمي لعمر الطبّاع.

من هنا جاء اختيارنا للحوار الداخلي (المونولوج) في الشعر المعاصر، المتجه نحو الإمـام الحسين عليه السلام، وأثره في بناء المشاهد العاشورائية؛ فالباحث يعتقد أنَّ المونولوج تحول إلى عنصر من عناصر بناء المشهد الكربلائي، ومن أهم التقنيات التي استعملها الشاعر في التعامل مع القضية الحسينية.

وجـاءت الـدراسـة على مبحثين يسبقها مدخل، ويعقبها خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع، فحمل المدخل التعريف بالشاعر ومنجزه الادبي، أما المبحث الأول: فتناول قضيتين مهمتين تنحصران في دواعي استعمال المونولوج في النص والأخرى تعريف القارئ دراسة الباحث للحوار الداخلي وتركه للحوار الخارجي، أما المبحث الثاني فأظهر لنا النماذج الشعرية التي يراها الباحث من نتاج الحوار الداخلي النفسي وعرض إلى أربعة مشاهد ساقها الشاعر في ملحمته، وجاءت بعدها الخاتمة التي تعد ثمرة ما توصل إليها الباحث في دراسته.

المدخل

جورج شكور في سطور

هو جورج حنا شكور، من مدينة جبيل في لبنان، مسيحي الديانة، ولد عام ١٩٣٥م في قرية شيخان، جمع التعاليم المسيحية والإسلامية من الكنيسة ومن قراءته لنهج البلاغة، حتى انهمرت البلاغة على لسانه نهجاً وضاحا، وقرأ القرآن الكريم، وأحـب كتب الأدب والشعر، متأثرا بأمه السيدة التي أحبت الشعر أيضا، على الرغم من عدم اكمال تعليمها.

نال الليسانس في الأدب العربي كشهادة اكاديمية، ثم اتجه نحو التدريس، وعمل في دائرة اللغة العربية رئيساً في كلية الـشرق الأوسـط، ويعد من اعضاء اتحـاد الأدبـاء والكتاب اللبنانيين حتى بلغ الأمين العام المساعد (شعراء لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين، د. ياسين الأيـوبي،ج٣،٢٠١٣م: ٨٩٧؛ معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، د.أميل يعقوب ج١، ٢٠٠٤م: ٢٨٥).

أعماله: امتاز شاعرنا بوفرة انتاجه من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات اللبنانية، ومشاركا في الأمسيات الشعرية، ومؤسّسا لنادٍ ثقافي في شيخان مسقط راسه.

ومن أبرز مؤلفاته:

ديـوان وحـدها القمر (١٩٧١م). ديـوان أشرعـة الرحيل ١٩٨٤م. ديوان زهرة الجماليا (١٩٩٢م). ديوان همسات للحلوين شعر شعبي١٩٧٨م. ديوان مرآة ميرا ٢٠٠٤م. ديـوان عنهم وعني ٢٠٠٩م. ديـوان ملحمة

الإمام الحسين عليه السلام، ٢٠٠١م مترجم للفرنسية. ديوان ملحمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي تضمن ٦٧ قصيدة تشكل أبرز المحطات في تاريخ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته وحتى ارتحاله إلى الرفيق الأعلى. ديوان ملحمة الإمام علي، كتب مقدّمته سيادة المطران العلاّمة جورج خضر ٢٠٠٧م (شعراء لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين، د. ياسين الأيوبي،ج٣،٢٠١٣م:٨٩٧؛ معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، د.أميل يعقوب ج١، ٢٠٠٤م: ٢٨٥؛ مقال منشورعلى شبكة الانترنيت في الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة (imamhussain.org)).

المبحث الأول

علاقة الحوار الداخلي في بنية النص

دواعي استعمال تقنيات الحوار الداخلي:

سارت أغلب الدراسات النقدية والأدبية إلى بيان تداخل الاجناس الأدبية شعرًا ونثرًا، وانتقال تقنياتها من خلال التخادم بينهما، لأغراض معينة ينشدها منشئ النص، فـ(الحوار يعد تقنية مسرحية، فإن الفنون الأخرى مثل الشعر والرواية قد اتخذته وسيلة تعبيرية، خصوصا الشعر)، (مستويات بناء الحوار في شعر أحمد مطر، م. معتز قصي ياسين، مجلة دراسات البصرة/ السنة الحادية عشر،ع، ٢، ٢٠١٦م:: ٢٥٥) حتى يحق القول: إنَّ النص العمودي حمل التقنيات القصصية بدءًا بعصر ما قبل الإسلام إلى يومنا، (السرد القصصي في الشعر الجاهلي،حاكم حبيب عزر الكريطي٢٠١١م: ١٤-١٥؛ مستويات بناء الحوار في شعر أحمد مطر، م. معتز قصي ياسين، مجلة دراسات البصرة/ السنة الحادية عشر،ع، ٢، ٢٠١٦م: ٢٥٥-٢٥٦؛ الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل ط٣، ١٩٨١م: ٢٩٨) كشريك في الإنتاج الشعري، ويطل برأسه حسب تطلعات الشاعر والمتلقي والبيئة والغرض وسلطة الموضوع، حتى (أصبحنا نرى نصوصا شعرية تقتحم مجالات كانت مقتصرة على النثر، بل اليوم طغى الصوت الشعري بعد أن تخلص الشعر من القيود التقليدية، وأصبح الشعر نفسا دافقا يتسرّب إلى الافعال الكلامية، أو يتخذ لنفسه صورًا بلاغية عدّة، كالحكي المتدفق والسرد المتسارع الإيقاع، وتبني الذات الكاتبة الأفعال الكلامية، واحتلالها مكان الشخصية، والتحدث عن نفسها في صيغة المناجاة أو التضرع أو التوجع أو البوح والاعتراف) (التداخل الاجناسي... مفهوم القصة الجديدة/ محمد معتصم، مجلة دراسات تصدرها أمانة عمان الكبرى،،ع ٦٦، لسنة ٢٠٠٠م: ٦٧).

وقد نهم شعراء العصر الحديث من التقنيات السردية كثيرًا بما يخدم موضوعاتهم، (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ٢٩٨) ولاسيما في شعر المطولات أو الملاحم؛ لأنها تركز على الأفكار التي تناسب الحوار بأنواعه، وبدوره يخلق الحاجة إلى الصوت الداخلي المظهر لـ(كل الهواجس والأفكار المقابلة لها، ويدور في ظاهر الشعور أو التفكير، فيضيف بعدًا جديدًا، يمثل في لفت المتلقي الى صوت آخر مقابل، يغويه بما يقول، أو يعمق شعوره بالفكرة الظاهرة ويقنعه به)، (تيار الوعي في الرواية

الحديثة،روبرت همفري/ تحـ: محمود الربيعي، ٢٠٠٠ م: ٧٤-٧٥) فضلا عن ذلك لتنفي عنه الذاتية والغنائية المطلقة، (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ٢٩٨) التي تلائم التعبير عن الأفكار في القصيدة، فيحاول الشاعر في نصه العمودي الملائمة بين الغنائية بوصفها احدى التقنيات المعروفة في الشعر الكلاسيكي، والطاغية عليه في عمومه، وبين الحوار الداخلي الذي يضفي عليه لباس آخر، ولعلَّ الشاعر المبرز الواقف على تشابك الأفكار، واختلاف المعطيات مع واقعه الخارجي، والترهل الفكري في التعامل مع المواقف، والتابين فيها، أوقعه في حيرة من أمره، ما جعله راغبًا في العودة إلى النفس، والخلود إليها، والحديث معها، والتكلم مع الروح كعنصر من عناصر المراجعة الحياتية، فبزغت الحاجة إلى الحديث مع الذات داخل البنية النصية الشعرية، ومنهم شاعرنا جورج شكور، الذي يمكن أن نجمع الدواعي التي سلكته إلى التمسك بالحوار الداخلي، وإيداعها في نصه بحق الإمام الحسين عليه السلام إلى أمرين مهمين:

أولًا: الدواعي الفنية.

يستند الباحث في إلقاء الضوء على قضية اعتماد الشاعر الحديث بناء نصه الملحمي على المونولوج بطريقة مقصودة، ولغاية فنية، مستندًا على الطاقات الشعرية في لغته المستعملة في البنية النصية، (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ٢٩٨) ولكي ينقي عمله الفني من السردية التاريخية، ومبتعدًا عن رتابتها، حتى يتحول المونولوج من وسيلة إلى غاية جمالية عنده، (أدوات النص(دراسة)، محمد تحريشي، ٢٠٠٠م: ١٢٩) فالأحداث التي يتناولها شاعرنا جورج شكور في الملحمة الحسينية معروفة عند السامع، وعهدتها الأسماع، فماذا سوف يصنع بأداء شعري ضخم سبقه، له من العمر أكثر من الف عام، بدءًا من واقعة الطف إلى يومنا؟ ولعلَّه استثمر أداء اسلوبيًا بذكاء، فانحى صوب خلق تجربة درامية بوصفها تكتيك لإغناء التجربة الفنية، باستعمال المونولوج الداخلي خدمة الفن الشعري، الذي لا يشترط به وجود ذات حقيقية كما في السرد التاريخي، بل حديث (أحادي الإرسال تُعبر فيه شخصية واحدة عن حركة وعيها الداخلي، في حضور متلق، واحدٍ، متعددٍ، حقيقي أو وهمي، صامت غير مشارك في الإجابة)، (شعر التجربة) المونولوج الدرامي في التراث الأدبي المعاصر،روبرت لانغيوم، ١٩٨٣م: ٩٠) ومن ثمَّ ينفتح المجال أمامه إلى خلق جديد، منافٍ لأوجه الرتابة في البنية السردية التاريخية، وتسمح له بالتعبير عن التاريخ بصورة فنية شعرية غير ملزم بالزمان والمكان المحددين بالتاريخ الواقعي للطف وعاشوراء، ويتبعه الحرية بتعدد الضمائر المشاركة في الحوار الداخلي، بعيدة عن قلتُ وقال ذات الأبعاد الثابتة في السرد التاريخي، الوارد في النص الشعري القديم، (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ٢٩٨) والامر ذاته يسهّـل عليه التنقل في عرضها، فإنَّ

المونولوج الداخلي يسمح للشاعر الانتقال من إنَّا إلى هو إلى إنَّت وإنَّتم في حوار داخلي واحد، ضمن حزمة واحدة من الحوار، (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ٩٠) وبسبب هذه التقنية الفنية وصفه أحد الباحثين: (وفي الحوار الداخلي يكون الصوتان لشخص واحد، أحدهما هو صوته الخارجي العام، أي صوته الذي يتوجه به إلى الآخرين، والآخر صوته الداخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره)،(الحوار في الخطاب المسرحي، محمود عبد الوهاب، مجلة الموقف الثقافي،، ١٠ ١٩٩٧ م: ١٠، مصدر اخر ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٢٩٣- ٢٩٤.) وأغلب الظن: أنّ ما تقدم أغرى شاعرنا جورج شكور على استعمال المونولوج الداخلي لغاية فنية؛ لتمكنه من صناعته الشعرية، فيها لونه الفكري، وطابعه الخاص المتصور عن ملحمة الإمام الحسين عليه السلام.

ثانيا: الدواعي النفسية:

لا نعدم أنَّ شاعرنا ابنُ واقعِهِ اللبناني المعاصر، حاملا أفكاره وهمومه و تطلعاته، فهو لا يخلو عند كتابة ملحمته من تخليد قضاياه العامة في انتاج أدبه، فـ(ينبغي أن نتذكر أن الشاعر نفسه قد تطور، لقد تطور من حيث تكوينه الثقافي، وتطور من حيث إدراكه لعمله، ووعيه بأهمية هذا العمل وقيمته بالنسبة للحياة، ولم تعد القصيدة التي يكتبها مجرد أداة لإزاحة وقت الفراغ، أو تصوير للمشاعر والأحاسيس، بل أصحبت القصيدة وحدة.....في سبيل استكشاف الحقيقة أو مجموعة الحقائق الجوهرية) (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ١٩٧٨م: ٢٨٣)، فما ننتظر من شاعر يعيش صراعات متعددة، ويقف إزاء الإمام الحسين عليه السلام بنص شعري طويل، ماذا سوف نرجو من حديثه غير سحبه ليغدو محطة نفسية يقف عندها مستلهما منها، مع مراجعة لذاتيته، فكان المونولوج الداخلي من أنسب التقنيات له، بوصفه (سرد تلتزمه الكتابات الروائية للكشف عمَّا يدور في نفوس شخوصها، خارج منطقة التراتبيات) (معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، سعيد علوش، ٢٠١٩ م: ٤١٦) لكي يفرّغ شحناتها منه، ويوصلها إلى المتلقي، ويرسمها لوحة كاملة، بطريقة الحديث عن الروح بـ (أعمق أفكارها ونفسيتها وما تعانيه..... فهو صورة لرسم الشخصية سواء الداخلية، أو حتى إبراز الحالة الوجدانية، فهو شرح لنفسية الشخصية، وكذا أفكارها، فهو مصوّر لعواطف الشخصي)، (الأبعاد الدلالية للحوار الشعري في ديوان عباس بن الأحنف، رسالة ماجستير، علية خوني ٢٠١٣م: ١٥) ومن خلال دراسة النصوص، تبين للباحث: أن جورج شكور أراد إثبات هويته، وتحديد نمطها العروبي، وموقفه من أحداث الإسلام فمال الى استعمال المونولوج الداخلي؛ لقدرته على إتاحة الفرصة للبوح عمَّا في خلجاته، التي تبني هويته من جانب، وعلاقته بالآخر سواء أكان متفق معه أم مختلف، مستعملًا في تمظهراته للعالم الخارجي الخطاب الكربلائي الحسيني، وسيلة للكشف عمّا يؤمن به، عبر تقنية المونولوج التي

يهيئ الدور في بروز الشخصية ونفسيتها، أو ما يكون معادلاً للنفس نحو الأصحاب الوهميين والأشياء غير الناطقة وسواها (أنماط الحوار في شعر محمود درويش/ عيسى قويدر العبادي/ دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال مج ٤١، ع، ١، لسنة ٢٠١٤م: ٣١).

دواعي الابتعاد عن الحوار الخارجي

رب معترض يقول: إنَّ الحوار الداخلي هو الحديث الفردي للقاص أو الشاعر عندما تلح عليه تجربته شخصية، وهو (خطاب بدون سامع غير ملفوظ، تعبر بوساطة الشخصية عن أكثر مقاصدها الصميمية، أقربها إلى اللاشعور)، (توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الأخرى، تيسير محمد الزيادات: ١٥٠) بينما نجد الدراسة تصور لنا شخصية الأديب التي تتحدث عن قضية تاريخية، وحدث إسلامي بطريقة سردية، أليس من اللائق العلمي أن ينحو الباحث صوب دراسة الحوار الخارجي؟ ولعلَّ الإجابة تكمن أن الدراسة معدة للإجابة عن تساؤل واستفسار: لماذا تحدث شاعر معاصر في القرن العشرين عن قضية الإمام الحسين عليه السلام بملحمة سردية ومطولة شعرية؟ أليست واقعة كربلاء نالت حقها الكافي في الأدب العربي؟ وما الجديد الذي سيعرضه الشاعر اللبناني المسيحي عن طف كربلاء؟ وهل يستطيع التمرد عن سياقات نصية لشعراء أبدعوا في تناول مصاب كربلاء؟ من هنا جاءت الحاجة لمعرفة الجديد الذي أبداه شاعرنا حتى تميز من غيره، فوجد الباحث أنّ هناك شدة في تعلق بعض الشعراء اللبنانيين المسيحيين بقضية عاشوراء في العصر الحديث، ابتداء من بولس سلامة حتى تحولت وكأنها قضيتهم الشخصية، بل يرى نفسه معني بها، وهي عنوان له، ووازى بها الشاعر المسلم، فعندما يتحدث عنها يتحدث عن نفسه، وذاتها صورة من صور الاندماج بينه وقضية كربلاء، التي أضحت وسيلة من وسائل مواجهة همومه المصيرية على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، فلا نعدم الإحساس عنده المتجه نحو الإمام الحسين عليه السلام بأنه يصبو إلى قائد يضحي من أجل الإنسان، وكأنما يطلب بعثا جديدا له عليه السلام، وما نلتمسه في النص الشعري المدروس من ارهاصات الحوار الداخلي وفي مناجاته، نؤكد بها انثيال الباحث نحوه، التي حمل الشاعر السمات الموضوعية بطريقة المونولوج لكي يعبر عن انطباعاته هو الإنسان وهو الشاعر، فـ(من عناصر التعبير في الشعر المعاصر عنصران رئيسان على أقل تقدير، فالشكل الأول يتمثل فيما نسميه بأسلوب الحوار الخارجي «الديالوج» والشكل الثاني يتمثل فيما يسمى بالحوار الداخلي «المونولوج»)، (الحوارية في القصيدة العربية الحديثة ١٩٥٠-١٩٨٠م اطروحة، سهام حسن خضر الحميري، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، ٢٠٠٥م: ١٩٤) فناسبت البنية الموضوعية والفنية استعمال المونولوج لقابليته في نقل أحاسيس المتحدث ومشاعره إلى السامع. الذي اتخذناه عنوانًا لدراستنا للإفصاح عن نوعية التعامل الشعري والفني له عند الشاعر المدروس، وكيف وظف المونولوج لغايات فنية داخل بنية النص الشعري لتعبير مشاهد كربلاء.

المبحث الثاني

استدعاء المونولوج في انتاج المشهد العاشورائي

قبل الخوض في الدراسة التطبيقية التي جرت عليها طبيعة أغلب الدراسات الاكاديمية، والبحوث العلمية، لابد أن نتعرض لأمر مهم في عملية خلق واقعة الطف من جديد برؤية الشاعر المعاصر الذي انتج ملحمة الحسين عليه السلام، وما يتخللها من صور ومشاهد معتمدا على أن النثر وسيلة للوصول إلى غاية و(توصيل الحقائق، بينما الشعر غاية في حد ذاته، وإذا كانت غاية النثر هي المنفعة، فإن غاية الشعر والفن عموما هي المتعة الفنية، والمنفعة جزء من اجزاء هذه المتعة)، (اللغة الشعرية في الخطاب النقدي، محمد رضا مبارك, ١٩٩٢م: ٢٤) فإذا استسلم شاعرنا إلى فوتوغرافية التصوير، أصبح عبارة عن سارد لواقعة تاريخية من ملفات ذاكرة التاريخ دون أي ظهور لذاتيته، (وإذا كانت الرؤية الشعرية عملية ذاتية صرفة فإن هذه التفصيلات الحية هي المادة الموضوعية التي تتجسم خلالها الرؤية)، (الحوارية في القصيدة العربية الحديثة ١٩٥٠-١٩٨٠ اطروحة، سهام حسن خضر الحميري، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، ٢٠٠٥م: ١٩٥) الشعرية الخاصة به وتسجل باسمه، فواقعة كربلاء لم تنجُ من مخيال الأدباء والشعراء، فما سبيل شاعرنا حتى يصيب الجيد الممتع بوصفه أحد أولويات التأثير بالمتلقي، فإذا ساق معانيه بتصوير يماثل ألسن الشعراء، واختزلتها مطويات الأدبية بأسمائهم، فقد أضحى معادًا مكررًا، وإذا أراد أن يأتي بجديد فأركان الحدث ثابتة في كبد التاريخ، فكيف يجري سلسال نصه الأدبي؟ فضلا عن ذلك أن الشاعر المعاصر سمع الآراء النقدية في الشاعر المؤرخ، أو الشاعر الناظم والنقود التي وجهت لهم، فلا يرضى أن يتحول إلى مؤرخ أو سارد لأحداث الطف المعروفة؛ لأن المتلقي قد تفاعل مع حدث الطف منذ نعومة أظفاره، وسمعها بطرق متعددة، واشكال متباينة في عرضها.

ومن هنا يرى الباحث أن شاعرنا المسيحي اللبناني المعاصر استدعى تقنية المونولوج في عملية الإنتاج الشعري الـذي استعاره (بـلا شك من ميدان الفن الـروائـي، وبخاصة مـن ميـدان الأدب المسرحي)، (الحوارية في القصيدة العربية الحديثة ١٩٥٠-١٩٨٠م اطروحة، سهام حسن خضر الحميري، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، ٢٠٠٥م: ١٩٥) لكي يساعده بمهمة تصوير مشاهد الطف، التي تتيح التعامل مع الحدث كيف شاء لأن؛ (المونولوج هو وضع حواري يتحدث فيها شخص واحـد) (معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، سعيد علوش، ٢٠١٩ م: ٤١٥) ولا يلزمه بضوابط الزمان والمكان والحدث وغيرها من أركان السرد، بل يكتفي (بالحد الأدنى من قواعد اللغة، على نحو يدل على أن الخواطر قد سجلت كما ترد إلى الذهن تماما)، (الأبعاد الدلالية للحوار الشعري في ديوان عباس بن الأحنف، رسالة ماجستير، علية خوني ٢٠١٣م: ١٣) فما يصدر عن المونولوج لا يبتعد وصفه بـ(شحن داخلي ينجم عن انشطار تعانيه الشخصية في

لحظات تأزمها، ومن ثم فقد ساهم في إبراز ملامح الشخصيات وأزمات النفسية والفكرية والتي يراد التعبير عنه، فالشخصية تستطيع فيه التعبير عن أخص الأفكار التي تكمن في أقرب موضع من اللاشعور) (توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الأخرى، تيسير محمد الزيادات:١٥٠).

واعتمادا على هذه الفرضية، لحظ الباحث مجموعة من الصور التي تحمل مشاهد مصاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء، مبثوثة في النص الشعري لجورج شكور، قد تنوعت مرجعياتها، وأساليب تشكيلها، منها المرتكزة في بنية انتاجها على ما يدور في الخلجات النفسية عن الشاعر المونولوج، ابرزها:

المشهد الأول: صورة كربلاء في ضمير الشاعر

لم يرصد الشاعر مكانة كربلاء بأنها فضاء يحوي جسد الامام الحسين عليه السلام، وإنما بؤرة تستحق المخاطبة، فصور خطابه لها خطاب الروح للروح، لينقلنا إلى التفاتة برؤية شعرية، فحواها أن التعامل مع كربلاء بوصفه فضاءً مكانياً مكاني سوف يثمر مجانبة للحقيقة، فيقول: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩).

(بحر البسيط)

يـا (كربـلاء)، أأنـتِ الكَـرْبُ مُبتلِياً
وأنـتِ جُـرحٌ عـلى الأيّـامِ نَغّارُ؟
لا لا، وثيـقـةُ حـقٍّ أنـتِ شـاهدةٌ
أنْ في الخلـيقة أشرارٌ وأخيـارُ

فالشاعر واجه كربلاء بخطابه المباشر، الذي سبقته في انتاجه النزعة الحوارية الداخلية، إذ إن المباشرة صورة لاحقة عن الحديث مع الروح والنفس، ولم يأت من وحي الخاطر، ومن دون ممهدات، بل وقف الشاعر متأملا مع نفسه، مخاطبا لها، حتى صاغ عملًا مرتكزًا على الحوار الداخلي، حتى يمكن يوصف بأنه عمل ظاهره خطاب مباشر أساسه الحوار الداخلي، فالأبيات الشعرية وظفها الشاعر لنداء كربلاء، وبمعايير مقلوبة في بنية التشبيه، المعروف عند الشعراء تقريب البعيد الغامض بالقريب الواضح، حتى يرتفع غموض الصورة عند المتلقي، بينما الشاعر أضفى على أرض معروفة بأرض الحسين عليه السلام، وواحة واقعة الطف قضية معنوية يلفها الغموض، عندما حوّلها إلى وثيقة لم يفحص عنها، فأي وثيقة يقصدها؟ وهل التاريخ سمى أرض الحسين عليه السلام وثيقة؟ لم نسمع بذلك، وهل يصلح تسمية المواقع الجغرافية بالوثائق؟ هنا بدأ أثر المونولوج الداخلي، والحوارية بين الشاعر والوثيقة مرة، الذي سينتقل الحوار إلى المتلقي مع هذه الوثيقة مرة أخرى، وتنطلق التساؤلات عن المكتوب والمسطر عليها، وربَّما استدعاء الحوار الداخلي أنتج بناء خيال أكبر من خيال الشاعر نفسه، ولاسيما مع استمرارية الحوارات الداخلية مع الوثيقة، ومنها يرسل الشاعر معزوفة خفية ان كربلاءه قانون ثابت لا يعتروه التغيير، فهي وثيقة تم إصدارها من يوم عاشوراء، بين قيم متصارعة تعاقدوا على أمر معين، لكنه أخفى أطراف التعاقد، وعلى أي

شي تعاقدوا؟ ويرى الباحث أن الغموض بالحوار الداخلي النفسي مع كربلاء سيخلق حواريات أخرى، إلى وقتنا الحاضر تعيش كربلاء بحمولاتها المتصارعة سابقا، ويفهمها كل حسب تعلقه بالواقعة العاشورائي.

ويبقى المشهد الحواري مع كربلاء مسيطرا في خلق الصور العاشورائية، من خلال قلب الموازين، فالخاسر منتصر، والمنتصر منكسر، القبر شاهد الانتصار لا الأحياء والقصور نحو قوله: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩).

(بحر البسيط)

يا (كربلاء)، لديكِ الخُسرُ منتصرٌ
والنصرُ منكسِرٌ، والعدلُ معيارُ
وفيكِ قبرٌ غَدَت تحلو مَحجّتُهُ
يَهفو إليه مِن الأقطارِ زُوّارُ
وأين قبرُ يزيدٍ، مَن يُسلِّمُ بهِ
غيرُ التراب وفوق الترب أقذارُ

(ديوان أبي فراس الحمداني، شرح، د. خليل الدويهي، ١٩٩٤م: ٤٨)، ترجمة محمد مجذوب الحسني في موسوعة كربلاء في الشعر العربي (imamhussain.org)).

عبرت الأبيات التي أنتجها الشاعر عن لمحة من صراع داخلي، من حال الأمة التي ترى الحق فلا تنصره، وترى الباطل وتصفق له، على الرغم من أن الشواهد كثيرة من انتصار الحق ولو بعد حين، ولعلَّ شاهد كربلاء إحدى المحطات التي ذكرها، ولا يخفى أنها تضم لوعةً وعتابًا من نصرة الظالم، وترك الحق، فمشاهد كربلاء التي ساقها بطريقة الخطاب مع النفس تكشف عن إيمان الشاعر المسيحي بقضية الحسين عليه السلام برؤيته هو، حتى عاد ليسوق أدلة على صحة مذهبه بانتصار الحق، ولو أبطأ عنه الحسم العسكري الآني، نحو صراع الإمام علي عليه السلام مع معاوية الذي أشار الشاعر إليه من بعيد، من خلال التناص مع الشاعر السوري محمد مجذوب. فلم نحصل على الرؤية الشعر ضمن سرديات الحدث، لولا دخول المونولوج الذي أفصح عن عالم الشاعر الذي يؤمن به وكشفه بطريقة شعرية.

المشهد الثاني: الانتظار إلى مثيل الحسين عليه السلام في عصر الشاعر

ما إن تمرّ الصعاب بالإنسان، وتتوالى عليه النكبات، حتى يرمق الأفق، ممزقًا لحجب الزمان والمكان؛ ليصل إلى أبعد نقطة فيهما، بغية الحصول على نموذج حقيقي أو وهمي، يتسلق من خلاله إلى طوق النجاة، فكانت ظاهرة المنجي أو المخلص - باختلاف اسمائه وأشكاله- من المظاهر المشهورة عند الشاعر الحديث، ولعلَّ الفكرة ذاتها انتابت الشاعر المسيحي اللبناني عندما تعامل مع الإمام الحسين عليه السلام صاحب صرخة (لا) أمام الظلم والطغيان، فاحتاج أن يبعثه ولو بمخياله الشعري، لكي يلبي رغباته النفسية، وتطلعاته الفكرية في محو الظلم، ويكسر حالة الجمود والاستسلام على المستوى العام للامة، نحو قوله: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩)

(بحر البسيط)

يوم(الحسين) بك الايام شامخة
وقد تشابه في التاريخ أدوار
ذكرتني كأس سم راح يجرعها
(سقراط) حراً، ولم تأسره أفكار
ذكرتني رأس(يوحنا) به حلمت
احدى العواهر، والظلام عهار
ذكرتنيه (يسوع) الحق، مرتفعاً
على الصليب، وفي كفيه مسمار

(بحر البسيط)

يوم (الحسين) هم الاحفاد انهارُ
في العالمين، لهم دفق وتيارُ
مذ ضيم لبنان، واغتر الغزاة به
كانوا الفداء، ورد الارض ثوارُ
ورددوا قوله، والدهر رددها:
ما ضاع حق به صك وإقرارُ
(القدس) عاصمة في الارض قائمةٌ
وفي السماء لها بالروح إعمارُ

الشاعر يناغم نفسه بيوم الإمام الحسين عليه السلام، ويحوله إلى مستمع له، يحاكيه لما يعتقده من الشموخ، والعلو والرفعة، التي يرمقها بإكبار عال، وهو يتنفس به الصعداء، ويجعله مرتعًا له، أمام الضغوط النفسية التي يمر بها الفرد العربي، فهو يعطي حقائق متعددة للسامع إلى حواره الذاتي، بأن التاريخ شاهد على قوة الموقف فمن خلال (سقراط ويوجنا ويسوع)، فكلها نماذج يريد تحريك ضمائر متلقيه بأنّ الإمام الحسين عليه السلام نور يستضاء به، وقوة نوره غطت كل أنوار الصالحين بشموخه، وخير دليل كلمة (ذكرتني)، فهل ينسى مسيحي يوحنا أو يسوع؟ ليدلل على شموخه، وبهذا الحديث الداخلي سيفهم قارئ النص صورته في ضمير الشاعر، ومكانته عنده، حتى ختم نصه بالجمع بينه وبين أحفاده المجاهدين في سبيل تحرير الأرض من الصهاينة، الذين أعدهم الشاعر نتاج من ثورة كربلاء بقوله: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩)

فالشاعر يبنى صورة الفداء من أجل لبنان وتحريرها بعدما ديست كرامتها باحتلالها من قبل الصهاينة عام ١٩٨٢م، وما التحرير الا حصاد من فيوض كربلاء، الزارعة في نفوس أبناء الأمة معاني الجهاد وعناوين التضحية، ولعلَّ الواقع الجهادي المبارك أمام أنظار الشاعر، تم فهمه بترجمة جديدة للإمام الحسين، عليه السلام فرأه مصنع للمجاهدين والمحبين للأوطان، وهذا المشهد لم نألفه لولا خلود الشاعر مع ذاته، وحديثه معها عن واقع بلده المعاصر، المنتصر بعد استلهام عاشوراء النصر والعزة، بل زاد عندما وضع معادلة تعبيرية تخيلية يربط بين القدس وتحريرها مع كربلاء، فالقدس تعني الطهر، فلا يبتعد الظن أن الشاعر أراد في حواريته مع نفسه أن كربلاء والقدس كلاهما الطهر، فلا كرامة لقدسنا اليوم إلا بقدس الإمام الحسين، عليه السلام وقد ساقها نصيحة للامة في العودة اليه من أجل خلاص قدسنا من الأسر والاحتلال، ويوكد ما رأيناه حديثة

الداخلي في تصويره لشهادته بانها يوم عرس بقوله: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩).

(بحر البسيط)

أكبرتُ عن أدمـــعي يومَ الحسينِ ولد
ـشهادةِ الـــبِكرِ أعراسٌ وإكبارُ
في ثوبه احتَشَـــدَت دنيا، وقد نهضَتْ
أحلامُ أُمّتـــهِ إذ ضـــــجَّ إنذارُ

فالرؤية الشعرية التي أراد الشاعر ان يصدرها للعالم، ويطبعها باسمه، أنَّ يوم شهادة مرثية فهمها الشاعر المسيحي يوم عرس، لأن فيها حياة الأمة، لا حياة الإمام الحسين عليه السلام كما يصوره التراث الشعبي الشيعي، بان يوم كربلاء يوم ولدته، فهنا بدأت براعة الشاعر من خلال ابتكاره مشهدًا جديدًا على انقاض مشهد شعري معروف عند الشعراء، فيوم الطف يوم ولادة الامة من جديد، الامة الحية التي تريد العيش بالكرامة، من خلال انعاش الحياة باسمه عليه السلام، وارتدادات صوته عند شاعرنا عابرًا لحواجز القومية والديانة في رؤيته الذاتية، فوسع حواره الداخلي الدائرة إلى مستوى العالمية، فالدنيا هي التي تتذلل للإمام الحسين حتى يرأف عليها، ويسطع نوره عليها، كي يمنحها الحياة، وهذا المشهد المكثف أورده في عبارته (في ثوبه احتَشَـــدَت دنيا)، وفي الوقت نفسه وجد أمة العرب هي الأولى بابنها الحسين في تحقيق أحلامها، فطلب منه يحنو على أمة العرب، ويعيد لها الحياة مرة أخرى، بعدما دب بها اليبس، ودق فيها جرس انذار الموت، فكان الحسين يجسد صورة المنقذ من الهلاك بقول الشاعر(إذ ضـــــجَّ إنـذارُ)، ولولا المونولوج الداخلي لما فهمنا رؤية الشاعر اتجاه يوم الطف وقيمها المعاصرة.

المشهد الثالث: المبدأ والموقف من عاشوراء

إنَّ الواقف على أرض كربلاء، وما سُكب فيها من مواقف من قبل الإمـام الحسين عليه السلام وأصحابه تشد الإنسان المعاصر إليها، بوصفها رغبة إنسانية يتطلع إليها الإنسان الذي يعيش في عالم ممتلئ بالصراعات ومن بين التحديات التي يرمقها الثبات على المبدأ وعدم الانحدار إلى التلون في المواقف فشاعرنا أصبح يتحدث مع نفسه عندما وجد ضالته في أحادية الموقف والثبات عليه نحو قوله: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩)

(بحر البسيط)

تُشرى شعوبٌ إذا جاعت وإن جَزِعَتْ
فالظـــــلمُ مُرتَهَبٌ، والمالُ غَرّارُ
لـــــكنّما شهداءُ الحقِّ مِن كِبَرٍ
والشـــــامخُ الحُرُّ لا يُغريه دينارُ

فيرنو الشاعر إلى شعوب حية، لا تبيع بلدانها وأوطانها، بسبب الذرائع الاقتصادية، أو المنافع المادية لحكّامها، فيتذاكر الشاعر حديثا مع نفسه، كي يجسد مشهد حكميًا أو وعظيًا، بأن الشموخ لا يعطى ولا يُـهب من أحد، بل هو موقف أمام المغريات، وكلما وقف الإنسان موقف العفيف عن المغيرات، يتحول

الإنسان إلى الشموخ والرفعة والعلو، وهذا المشهد منسلخ عن واقع أصحاب الحسين عليه السلام الذين ثبتوا أمام مغريات الدنيا في الامتناع عن اعتزال إمامهم، ولعلَّ المشهد اعطى عبرة للمتلقي المعاصر أن النصر حليف أصحاب المبادئ، ولو بعد حين، ومن ثبات الموقف خلق صورة لمرثيه المعتكف على موقفه، حتى أطل عليها رمزا للثبات وعنوانا له، نحو قوله: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩)

(بحر البسيط)

في (كربلاءَ) سكبتَ الـــعمرَ ملحمةً
بالدمِّ خُطَّتْ، وخُطَّتْ عنـــكَ أسفارُ
رامَحْتَهم، وصهيلُ الخـــيلِ هَمْحَمةٌ
سايَفْتَهم، وصليلُ السيـــــفِ بَتّارُ
ضجَّت لهيبتِك الصحراءُ مُـــجفِلةً
كأنّما هَبَّ في الصحراءِ إعـــــصارُ
لكن هويتَ، وما في الأُفقِ كوكـــبةٌ
إلاّ عـــليكَ بَكَـــتْ، والدمعُ مِدرارُ

قابل الشاعر الإمـام الحسين عليه السلام بعين الاكبار والاجلال، تلبية إلى علو الموقف الذي تجلى به، حتى غدا أيقونة الدهر، فيتحدث الشاعر مع الامام الحسين عليه السلام بطريقة مباشرة، قد ينخدع القارئ بها ويقول انها خطاب بين الشاعر ومرثيه او ممدوحه، وفي حقيقة الامر هي عبارة عن زفرات نفسية لخطاب داخلي، وحوار بين الشاعر وذاته، اخرجه في زي الاعترافات النفسية التي يبوح بها الى العالم الخارجي، وما يؤكد مذهبنا ان تفاصيل المشاهد تكورت نحو إعطاء معنى التفرد في المواقف المذكورة، التي لم نفهم منها معنى المباشرة وحسب، وانما أراد الشاعر اللجوء الى نفسه، والعودة اليها؛ لكي يثبت أشياء منها: ان دمه عليه السلام باقٍ، يتوارثه الأجيال، ثم ينعطف لأثبات ميزة البقاء على المبدأ، وعدم التراجع، بدأت بمسايفة الأعداء ومبارزتهم، بقوة وإقدام، التي ساقها الشاعر بطريقة تصوير حال الصحراء التي لاعجتها الأعاصير القوية، وكل ذلك ختمه الشاعر بتفرد البكاء عليه، وأحسب أن الشاعر قد أخفق بذلك، فالمواقف التي ساقها لا تناسب البكاء والحزن، بقدر الشموخ والأنفة، فضلا عن ذلك نجد حوار الشاعر مع نفسه عندما يرسم لنا لوحة دم مرثيه عليه السلام كما يراها هو، المناسبة مع الرفعة والافتخار: فيقول: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩).

(بحر البسيط)

دمُ الحسيـــــنِ سخيٌّ فـــي شهادتِهِ
ما ضاع هَـــدْراً، به للـــهَدْي أنوارُ
وللشهـــادةِ طعمٌ لـــم يَذُقْه سوى الـ
ـشُمِّ الإلي أقسموا، إن يُظلَموا ثاروا

فالسخاء بالدم واسترخاصه في سبيل طلب المبادئ السامية، وغرسها في النفوس، هو الأجدر بالافتخار، بوصفه (ما ضاع هَدْراً)، ثم تحول هداية (للـــهَدْي أنوارُ)، وهي مواضع تليق بالتمجيد وليس البكاء، وربما

المناجاة بين الشاعر ومرثية قد أثرت عليه في إبراز العاطفة الجياشة من خلال المناظر التاريخية التي سردها في الملحمة، فتعامل معها بعنوان الانسان العطوف نحوه، الذي فقد كل شيء من أجل اذكاء روح المبدأ الذي يؤمن به.

المشهد الرابع: المشهد الحكمي في عاشوراء.

لا يمكن تصوير تعامل أي شاعر ذي حس مرهف مع المواقف بطريقة الاستيحاء والاستجلاء، دون الميل إلى صناعة المشهد الحكمي، وصورها الحكمية المنسوجة في النص، الذي يعبر فيه عن خلاصة فلسفته لحياة الواقع مرة، ولنظرته للشخص الذي يتعامل معه في نصه مرة أخرى، وقد يزداد قنص الشعر للجانب القيمي، ومشاهده التصويرية كلما كانت الشخصية مكتنزة جانب العبر، سواء للشاعر أم لمن حاوره، بأي طريقة سواء نص أدبي أم تعامل شخصي، ولكن مستوى الحكمة والعبرة تتغير حسب الرؤية الشعرية للموضوع، وعملية الاندماج، فصنع الشاعر جورج شكور المشهد الحكمي من خلال حواره مع نفسه عن بقاء الظلم والظالمين، فيقول: (علي والحسين في الشعر المسيحي، ٢٠٠٩م: ٣٣٩)

(بحر البسيط)

وجَولةُ البُطْلِ، إن طـــالت، لها أجَلٌ
والحقُّ جولتُــه في الدهرِ أدهـــــارُ
كلُّ الزعاماتِ، إن شِيدَت عــلى ظُلُم
كالبُطْلِ وَلَّت، وصَــرحُ الظلمِ يَنهارُ
ووَحـدَها نَسَـماتُ الروحِ باقيـــةٌ
عـلى الزمان، كأنّ العـــمرَ أعمار

فزوال الظالم مع تقادم الزمان أمر متحصل في تفافة الانسان الاعتيادي، وليس أمرًا غريبًا، إلا أنّ فضيلة الشاعر في عمليه نسجها وصياغتها ضمن ملحمته، فضلا عن محاولته اضفاء معنى الحكمة معان تصويرية أخرى منها: صورة مختصرة ومكثفة لسرد موضوعة الصراع بين الحق والباطل بأقل كلفة لفظية، باعتبار الحكمة قد لاكتها الألسن، وعرفتها الأذواق، لكن صنيعه وضعها في قالب تصويري مفتوح؛ ليدخل السامع كمشترك في إنتاج مشهد الصراع، مستمدًا من أحوال كربلاء وواقعها وشخوصها المادة الأولية لتصويره، ومؤطره بالطابع الذاتي للقارئ، ثم تأتي وصورة أخرى أن مرثيه عليه السلام كان مبيدًا لعروش الظالمين، فهو منافسًا للزمان في مهمة إهلاك الطغاة، فتصل لنا صورة خلوده في تأثيره على الظالمين، وإطاحة عروشهم، فالمشهد التصوري لم يُنتج لولا المونولوج الداخلي الذي أحدثه الشاعر في الحديث مع نفسه عن الجانب الحكمي المقصود في إثارة مشهد معين اتجاه خلود الإمام الحسين عليه السلام.

الخاتمة:

(١) أظهرت الدراسة أنّ المونولوج ناتج عن رغبة الشاعر في الظهور وإبراز نفسه والكشف عن قضاياه الإنسانيّة والوطنيّة؛ حيث إنَّ هذه القضايا هي التي تشكِّلُ الدافعيّة عند الكاتب، والحراك الدرامي عنده، فكأنَّ المنولوجيات والغاية تبلورت في الصور الذهنيّة والعاطفيّة، وَمِنْ ثَمَّ صُبغت بلون شِعري أظهرته القصيدة.

(٢) تبين للباحث غياب تام لمشاهد الأربعين النص المدروس في ملحمة الحسين، وكأنها لم تجري مجرى مصاب كربلاء، بل وتساويه في قوة الحدث-علما ان الباحث راجع النص من مصادر عدة والنتيجة ذاتها- فالشاعر لم يقف عند يوم الأربعين ومشاهده، ولعل ذلك عائد ان يوم الأربعين لم يأخذ صداه بالنفوس الإسلامية، كما في عاشوراء، فضلا عن اننا نتحدث عن نص أُنتج في بدايات التسعينات من القرن المنصرم، وقضية الأربعين تم التعتيم عليها من قبل النظام في العراق، ومنع الاحتفاء بذكراه، وهذه الظروف اختلفت كثيرا بعد عام ٢٠٠٣م عندما اصبح الشيعة كلهم في العراق يحيون هذا اليوم، مع باقي الفرق الإسلامية وغيرها، الذي يستمر لأكثر من أسبوعين، حتى تتوقف اكثر مفاصل الدولة العراقية خدمة لهذا اليوم ثم اصبح حدثا فريدا، ثم تناولته المؤسسات الإعلامية وغيرها حتى غدا اليوم حدثا عالميا عرفه وسمع به اكثر سكان العالم من المسلمين وغيرهم أيضا.

(٣) أظهرت الدراسة أن استعمال المونولوج لم يبق ضمن أقوال النقاد العرب الذين تحدثوا عن توظيف المونولوج، بل أفاد شاعرنا منه في القيمة التعبيرية، وخلق الصور، حتى أضحت الحوارات الداخلية تشكل دافعية مهمة في عملية التصوير، والتعبير الفني عن قضية كربلاء، فأغلب المشاهد العاشورائية قد استهلكت من قبل الشعراء السابقين، وبقي مجال الشاعر المعاصر يتجه نحو خلوده إلى نفسه مفكرًا ومعبرًا عن تجربته الخاصة مع واقعة كربلاء، فاستدعى الحوار الداخلي أو المناجاة. وسيلة للتصوير، والتعبير، وشحن الخيال.

(٤) لم تغب هموم الشاعر المعاصر عن نصه الشعري، ولاسيما عندما يتناول صفحات بيضاء من تاريخه، إلا أنّ عملية تناول الحاضر ومقارنته بالماضي قد تختلف، فالشاعر جورج شكور استدعى الإمام الحسين بطريقة تخالف النداء أو الندبة وسواهما، ومال الى طريقته الخاصة المعتمدة على الحوار الداخلي مع الحاضر، فيصف الواقع العربي بما فيه من انكسارات التي سيفهمها المتلقي من حوار الشاعر مع الامام الحسين وطلبه في الخلاص والنجاة.

(٥) يرى الباحث ان الملحمة المدروسة تمثل تطورا في تفكير الشاعر العربي بشكل عام، والمسيحي بشكل الخاص، ولاسيما عند وقوفهم أمام الإمام الحسين، فكانت السمة الغالبة على هذه الملاحم هو السرد التاريخي، والاهتمام بالتفاصيل الواقعة له، بينما الحوار الداخلي الذي اندمج في الملحمة أعطاها رونقًا خاصًا، بحيث وجدنا الواقع العربي،

ولبنان الدولة والشعب حاضرًا في الطلب من الإمام الحسين بوصفه مخلصًا، فضلا عن ذلك أبدى الشاعر حواره معه من أجل وضع وصفات علاجية مستوحاة من سيرته، فلم تعد كربلاء لائحة تاريخية ومسلة من الماضي، وانما مشروع قيم يستوحي منها المريدون، ونغمة يلحنها العاشقون.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

(٦) أدوات النص(دراسة)/ د. محمد تحريشي/ منشورات اتحاد كتاب العرب/ د.ط، ٢٠٠٠م.

(٧) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل/ دار الفكر العربي/ القاهرة- مصر/ د.ط، ١٩٧٨م.

(٨) السرد القصصي في الشعر الجاهلي/ أ.د. حاكم حبيب عزر الكريطي/ تموز للطباعة والنشر/ دمشق - سوريا/ ط١، ٢٠١١م.

(٩) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي/ محمد رضا مبارك/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد - العراق/ ط١ , ١٩٩٢م.

(١٠) توظيف القصيدة العربية المعاصرة لتقنيات الفنون الأخرى/ تيسير محمد الزيادات/ دار البداية ناشرون وموزعون/ د.ت، ط

(١١) تيار الوعي في الرواية الحديثة/ روبرت همفري/ ، تج: محمود الربيعي/ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

(١٢) ديوان أبي فراس الحمداني/ شرح، د. خليل الدويهي/ دار الكتاب العربي/ بيروت- لبنان/ ط٢، ١٩٩٤م.

(١٣) شعراء لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين/ د. ياسين الأيوبي/ دار رشاد برس/ بيروت - لبنان/ د. ط، ٢٠١٣م.

(١٤) (شعر التجربة) المونولوج الدرامي في التراث الأدبي المعاصر/ روبرت لانغيوم/ تر، علي كنعان، عبد الكريم نصيف/ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ دمشق- سوريا/ ١٩٨٣م.

(١٥) معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة/ د.أميل يعقوب/ دار صادر/ بيروت - لبنان/ ط١، ٢٠٠٤م.

(١٦) معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر/ سعيد علوش/ مراجعة، د. كيان احمد حازم، د. حسن الطالب/ دار الكتاب المتحدة، ٢٠١٩ ط١.

الرسائل الجامعية

(١٧) الأبعاد الدلالية للحوار الشعري في ديوان عباس بن الأحنف/ رسالة ماجستير/ علية خوني/ اشراف، عبد الكريم اروينة/ جامعة محمد خضير/ الجزائر- بسكرة/ ٢٠١٣م.

(١٨) الحوارية في القصيدة العربية الحديثة ١٩٥٠- ١٩٨٠ اطروحة، سهام حسن خضر الحميري/ كلية التربية للبنات - جامعة بغداد/ بأشراف، ا.د. شجاع مسلم العاني ٢٠٠٥م.

المجلات والدوريات:

(١٩) أنماط الحوار في شعر محمود درويش/ عيسى قويدر العبادي/ دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب- جامعة الحسين بن طلال مج ٤١/ ع، ١/ لسنة ٢٠١٤.

(٢٠) التداخل الاجناسي... مفهوم القصة الجديدة/ محمد معتصم/ مجلة دراسات تصدرها أمانة عمان الكبرى/ عمان – الأردن/ ع ٦٦، لسنة ٢٠٠٠م.

(٢١) الحوار في الخطاب المسرحي، محمود عبد الوهاب، مجلة الموقف الثقافي، ع ١٩٩٧ م.

(٢٢) مستويات بناء الحوار في شعر أحمد مطر/ م. معتز قصي ياسين/ مجلة دراسات البصرة/ السنة الحادية عشر/ العدد، ٢/ لسنة ٢٠١٦.

المواقع الالكترونية:

الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة (imamhussain.org).